

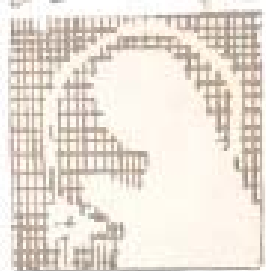
امكتبة القبطية على الانترنت



من عظمات
قداسة البابا شنودة الثالث



مجلة المذبح والكرامة





عمارة مما كبر الفتح والفتنة
البايا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية ويطحن لرسو الكرازة المرسية

مقدمة

تحتوى هذه النبذة احدى محاضرات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث التى القاها - واربعاً اخرى غيرها - بالمؤتمراول لخدام التربية الكنسية بالاسكندرية عام ١٩٦٨ بكنسية القديس مارمينا بالمنيرة - وكان قداسته عندئذ اسقفا للتعليم - وقد سبق لمكتبة كنيسة السيدة العذراء محرم بك ان طبعت المحاضرات الخمس المذكورة طبعة اولى عام ١٩٧١ - وهو اول عام لقبوا قداسته السدة الرسولية .

ولقد نفذت الطبعة الاولى لتلك المحاضرات وازاء اللاحاق فى طلبها رأينا ان نقوم باعادة طبعتها واحدة بعد الاخرى وها نحن نقدم الطبعة الثانية لهذه المحاضرة عن

عجبة المديح والكرامة

راجين الرب ان يجعلها لخير القراء ولبركة حياتهم وشركتهم فى الرب . ببركة صلوات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث اطال الله حياته ورئاسته للكنيسة سنين عديدة وازمنة سالمة مديدة - آمين .

الكنيسة

محبة المديح والكرامة

المديح شيء ومحبة المديح شيء آخر وقد يمدح الانسان ولا يخطيء ، لكنه لو احب المديح يكون قد اخطا .

آباؤنا الرسل مدحوا ، القديسون العظام والشهداء مدحوا ايضا ، ولكنهم لم يخطئوا . فليس الخطأ في أن تسمع مديحا ، وانما الخطأ في أن تحب هذا المديح الذي تسمعه .

هناك نوعان من الناس لا يهونون المديح :

أولهما نوع يهرب من المديح الذي يأتي اليه سواء كان مديحا من الناس أو من الشياطين أو من نفسه .

والنوع الثاني يتمادى في الهروب من المديح والكرامة حتى ينشد نفسه عيوباً كثيرة ، وحتى يظهر عن نفسه جهالات ونقائص تحط من قدره ، ولو أدى الامر أن يقال فيه ما ليس فيه .

الذين يحبون المديح درجات في الخطا

١ - النوع الاول : انسان يأتيه المديح دون ان يسعى

اليه ، وعندما يأتيه المديح يسر به وبيتهج — هو لم يسمع اليه ، لكن بمجرد وصول المديح اليه يسر به . وهذا الصنف على أنواع :

١ — انسان يسر بالمديح ويسمعه في صمت وهو جالس صامتا ومسرورا في داخله دون أن يحس به أحد .

ب — هناك انسان يسمع المديح ويتسبب في الاستزادة منه . اى يظل يقول بعض العبارات تجعل الذى يمدح يزيد في مديحه ، كأنه يجره من موضوع المديح الى موضوع آخر يمدح فيه ، او يتخذ اى وسيلة تجعل الذى أمامه يزيد المديح .

ج — وهناك انسان يحب المديح ويسمعه وهو مسرور ، ويتظاهر أنه غير مسرور مع أنه مسرور من الداخل . ويظل يتمنع غيزيد الاخر في مديحه ، وذلك دون قصد منه أن يعيب في نفسه بل هو في قرارة نفسه يريد سماع كلام حلو .

٢ — النوع الثانى : اصعب من ذلك قليلا انسان لم يأت اليه المديح . لكنه يشتهى أن يسمعه وفي اشتهاؤه ينسلك في أحد طريقتين :

١ — يشتهى المديح ويظل صامتا حتى يصله ، متحيلا

أسبابا يسمع بها المديح كأن يبدأ موضوعا معيننا لكي يمدح لعمل عمله في هذا الموضوع ، أو يجزر الكلام خطوة خطوة حتى يصل الى النقطة التي يسر بها ويمدحه الناس بسببها.

ب — انسان يشتهي المديح ويعمل اعمالا صالحة امام الناس لكي يمدحوه .

٣ — النوع الثالث : هناك نوع أصعب من ذلك فهو يحب المديح ويشتهيها ، لكن المديح لم يأت به بعد رغم انتظاره وتحاييله على الاسباب . فيصل الى درجة أخرى أنه يكره من لا يمدحه ، ويعتبره عدوه ، ويكون بينهما سوء تفاهم . نعم ان هذا الانسان لم يضره غير أنه لم يمدحه ببعض الكلام الطيب ، لم يقابله مقابلة لطيفة ، لم يقدم له احتراماً زائداً ، لم يكرمه اكراما من نوع خاص . مثل هذا الانسان الذي يكره من لا يمدحه ماذا يفعل لمن ينتقده ؟ — اذا كان الساكت فقط دون أن يمدحه يكره ، فكم يكون شعوره من ناحية ناقديه .

٤ — النوع الرابع : هناك نوع آخر يشتهي المديح ، ويسر عندما يسمعه ، ويكره من لا يمدحه . ولا يكتفى بذلك فهو يمدح نفسه اذا لم يجد أحدا يمدحه . فيتكلم عن أعماله

الفاضلة التي عملها وتستحق المديح ، كما يخفى خطاياها الشخصية . هذا الانسان هو الذي يتحدث كثيرا عن نفسه .

هـ - النوع الخامس : هناك انواع اصعب من ذلك الانسان الذى يمدح نفسه - فمديح النفس على درجتين . درجة فيها يمدح الانسان نفسه بما فيه فيظل يتكلم عن افعاله المجيدة التي عملها وعن صفاته الفاضلة . والدرجة الثانية فيها يمدح الانسان نفسه بما ليس فيه فينسب الى نفسه فضائل غير موجودة عنده ، او يذكر صفات جيدة عنده يظل يبالغ ويكبر فيها ، او ان ينسب عمل غيره الى نفسه . مثال ذلك : اذا كنت مشتركا في عمل حسن فعندما تحكى الموضوع قد لا تقول انك اشتركت في عمل جيد ، ويكون ذلك مديحا لنفسك فقط . بل قد تزيد قليلا وترکز كل العمل على نفسك ، كأن كل الباقيين الذين اشتركوا معك لم يكن لهم وجود ولا مجهود . بل في بعض الاوقات يحدث اكثر من ذلك فانت تنسب كمية كبيرة من العيوب الى غيرك وتتهمهم بالتقصير او الضعف وتخفى حقهم . كأن تقول عن انسان عن غير حق انه لم يستطع ان يتكلم ، وكان مداعثا حتى تضايق الناس منه ، ثم تدخلت انا وقلت الرد الصحيح . معنى ذلك أنك كنت سيد الموقف وغيرك اخطا .

مثل ذلك الانسان لم يمدح ذاته فقط بل مدح ذاته وشنع
بالاخرين .

راهب قديس كان ينكر ذاته جدا ، فلمسا كان يعمل عملا
حسنا ، ويعرف ان الناس سيمدحونه عليه ، كان يشرك
آخر معه في العمل ولو بقدر ضئيل جدا ، او في نهاية العمل
يطلب من احد ان يساعده ، ثم اذا سئل عن العمل بعد
نهايته ، يقول « الله يبارك (فلان) الذى عمل هذا العمل »
وينسب اليه الفضل حتى يبعد عنه مديح الناس .

وهناك مثل آخر واضح لمحبة المديح وهو لعبة كرة القدم .
فان كان فريق يلعب وهو محب للمديح ، فانه سيفشل
جميعه لان كل واحد سيجرى بالكرة بمفرده كى يصيب الهدف
بنفسه فتضيع منه . ولاعب آخر قد يسير بالكرة وحده ،
وبجوار المرمى يمرر الكرة لاحسد زملائه فيكسب الهدف .
فيمدح هذا الاخير على الرغم من انه لم يعمل شيئا بينما
الاول هو الذى عمل كل شيء فاذا كان هذا فى الروح
الرياضية فكم تكون فى الناحية الروحية .

وهذا النوع من الانسان الذى يمدح ذاته متجسها كل
الظروف المحيطة والاشخاص المساعدين وينسب كل شيء
الى نفسه ، يهدم حق الله فى هذا العمل فهو ينسى جانب

الله ، كما ينسى الظروف المساعدة لنجاح العمل ، ويركز كل شيء على نفسه ، ويمدح نفسه بما ليس فيه .

٦ - النوع السادس : وهذا يعتبر أرباً درجة في محبة المديح . إذ قد تصل محبة المديح بالإنسان الى درجة يحب فيها أن يمدح هو وحده ، ويغتاز إذا مدح أحد غيره . فهو يريد أن يمدح وحده فقط لا أحد غيره . وإذا مدح غيره يحسده ويفر منه ويتكلم عليه ويحقد عليه .

الشروع التي تنتج عن محبة المديح والكرامة

١ - الرياء : محب المديح يصير إنساناً مرئياً لا يعطى صورة حقيقية عن نفسه . فهو يخفي النقط السوداء التي فيه ، ويظهر فقط النقط البيضاء وأخفاء النقط السوداء يتدرج فيه الى نواح كثيرة وكذلك اظهار النقط البيضاء يتدرج فيه الى نقط خطيرة وبهذا يقع في عيوب لا تحصى .

٢ - عدم الاحتمال والغضب : ما دام محب المديح يخفي عيوبه ، فبالطال لا يقبل أن يوجه اليه عيب ، فيكون إنساناً يكره الانتقاد ، وإذا انتقد لا يحتمل . وربما لا يقف فقط عند حد عدم الاحتمال ، بل يتطور الى الغضب والهياج والنفرة والثورة الى آخر هذا الطريق ، فكيف ينقده شخص ، وكيف

يقول عنه كلمة سيئة ، وكيف يذكر له عيبا معنا ؟ ويشور
ويضح ويتعجب من الداخل ومن الخارج ، كما يتعجب معه
الآخرين أيضا . وكل هذا بسبب محبة المديح والكرامة .
وهنا يجب أن نعلم أن علاج أنواع كثيرة من الغضب ، هو
ألا يكون الإنسان محبا للمديح ولا للكرامة لان كثيرا من غضبنا
يكون بسبب محبة المديح ، اذ لا يحتمل الإنسان كلمة اهانة
أو كلمة نقد أو كلمة اساءة .

٣ — **الكراهية** : محب المديح يكره من لا يمدحه ، وايضا
يكره من ينتقده ، كما يكره من يمدح أممه غيره .

٤ — **الحسد** : محبة المديح والكرامة من الاسباب الاولى
الاساسية للحسد . فالحاسد يريد أن يأخذ مركز غيره وهو
لا يجب أن يكون غيره احسن منه .

٥ — **النقد والادانة والتشنيع والسب للغير** : غهو يجب أن
يشوه عمل الغير ، فيكون جميع الناس أردأ منه ، وهو فقط
الاحسن . انه يقع في ادانة الآخرين في التشهير بهم كما يقع
في السب وما الى ذلك في انتقاص حقوق الآخرين .

٦ — **وبذلك يخسر محبة الناس** : انه لا يجب أحدا ولا
أحد أيضا يحبه .

٧ - **ومحب المديح يحب المتكآت الاولى** : يحب العظمة وهذه المتكآت الاولى يتنازع فيها الناس ويدخل في خصومات وفي مشاكل مع الاخرين . من هو الاول ومن هو الرئيس ومن يكون المتسلط ومن يكون الظاهر ؟ أى انسان يريد أن يكون هو الظاهر ، لابد أن يضعه فى الحضيض ويقول عنه انه ردىء .

٨ - **وبذلك يقع فى الكذب** : لا مانع من كذبه اذا كان الكذب سيوصله الى الارتفاع والظهور .

٩ - **ويعمل مؤامرات ودسائس** : لنزع الظاهرين من طريقه ويبقى هو وحده .

١٠ - **ومحبة المديح تؤدى الى أكثر من هذا** : .. تؤدى الى أن الانسان يشتهى موت الاخرين لكى يأخذ مكانهم . فيشتهى خراب الاخرين وضياعهم كى يأخذ مركزهم . كان يكون وكيلًا فى عمل وهناك رئيس فيشتهى وظيفته بأية وسيلة من الوسائل . فهو يريد ان يخرج من عمله ، ويطلب من الرب موته كى يرتقى مكانه ، كما يطلب أن يغضب عليه رؤساؤه ، أو أن تقال عنه كلمة بطالة ، كى يزاح من أمامه فيخلو له المكان . وربما لا يسمح له ضميره

أن يضع كلمة في حق هذا الرئيس ، ولكنه ينتظر بفارغ الصبر أية كلمة سوء تقال عليه فيسر جدا ويفرح ، حتى لو لم يكن منافسه هذا مخطئا ، ولا يبرره ولا يدافع عنه مع معرفته عنه أنه غير مخطيء ولا يمكن أن يشهد بالحق الذي في صالحه .

١١ - ومحبة المديح والكرامة تجعل الانسان ليس فقط لا يحتمل التأديب والتوبيخ والاهانة ، وانما لا يحتمل كلمة نصح ، فكيف ينصحه آخر ؟ هل هذا الاخر افضل منه ، أو يفهم اكثر منه ، وهو العارف والعالم والناصح والموجه والمرشد ؟ . بل قد يزداد الامر غسلا يحتمل انسانا ينصح آخر امامه ، لان النصح والارشاد له فقط ، فهذه اهانة لكرامته . ويتضايق ويفضب ولا يعرف احد سببا لذلك ، فهو يغلى من الداخل . واذا سئل عن سبب غضبه ، لا يستطيع أن يقول السبب .

وبذاك يكون مشكلة لنفسه ومشكلة للآخرين . وربما اذا سئل غيره في وجوده ، أو احترام الناس غيره في وجوده ، لدرجة شعر بها أن الاحترام الذي وجه لغيره كان أكثر مما وجه اليه ، يتضايق ويتعب في الداخل ولو لسبب بسيط

كأن يدخل انسان ويسلم على غيره باشتياق أكثر او
باحترام أكثر .

فهذا الانسان محب المديح يصبح متعبا . فهو لا يحتفل
الناس ، كما ان الناس أيضا في هذه الحالة لا يحتفلونه .

١٢ - ومحبة المديح والكرامة تجعل الانسان أيضا غير
ثابت : تجعله في وضع متردد لا ثبات له ، لا مبدأ له ولا رأى
ولا خطة . لماذا ؟ لانه لا يسير على مبدأ وانما يسير على
هدف المديح فان كان هذا الامر يأتى بمديح يفعله ، وان كان
عكسه يأتى بمديح يفعل عكسه .

فهو يتلون مع الناس كيفما كانت صورهم . انه مع
الشخص الوقور وقور ومتزن ، ومع الشخص المهزار يكون
مهزارا . وأين الاتزان الماضى والوقار ؟ لقد انتهى ، فكل
شئ تحت السماء وقت ؟ ومع محب الكلام الكثير يكلمه طول
اليوم لكى يمدح ، ومع محب الصمت يصمت أيضا لكى يمدح .
واذا وجد الحق ودفاعه عنه يعطيه المديح فهو سيدافع عنه .
واذا كان هذا الدفاع سيغضب الناس فهو لا يقول الحق
لئلا يفضيهم فيهرب المديح . انه يريد المديح وكفى ، بآية
طريقة وبآية وسيلة ، ولا مانع من التلون مع الناس كى

يصل الى المديح . واحد يحب النسك لا يأكل امامه ، وآخر يحب المتعة يقدم له أصنافا كثيرة على المائدة . يلبس لكل حال لبوسها ، ويتخذ لكل انسان صورة وشكلا وتصرفا . أمام انسان يحب الاتضاع يجلس بوقار في اتضاع ويعمل الاعمال التي يمدح عليها كمتضع ، ومع المتكبر يكون في صورته أيضا لكي يمدح .

هو انسان ملون لا يثبت على وضع لكي يأخذ المديح . يعيش في شقاء ، في تعاسة ، يفقد سلامه الداخلى . يشتاق الى الكرامة . فان لم تأته يتعب ويشقى ، واذا أتته يفرح ويسر . يفرح وقتيا ، ويلزمه الشقاء ، لانه مشتاق الى كرامة أفضل ، ويعيش متعبا لان الكرامة الافضل لم تصله . والموضوع لا ينتهى وشقاؤه يظل معه دائما .

١٣ — محب المديح يقع في الفطرسة والعظمة والكبرياء :

وهذه تقوده الى باقى الشرور .

١٤ — وأخيرا محب المديح يخسر حياته الروحية خسرانا

تاماً : فكل الفضائل التي يعملها تنتشوه تشويها كاملاً اذ يدخلها حب المديح فيفسدها . ولا تصبح له فضيلة على الاطلاق ، لان كل فضيلة عنده تشوهت بسبب غساد الهدف والدافع اليها الذى هو محبة المديح .

هذا الانسان مهما تعب ومهما عمل ، يقف أمام الله صفر اليدين . ولا جزاء له عند الله ، لانه أخذ أجرته على الارض اذ يقول له الرب في اليوم الاخير انك استوفيت خيراتك في حياتك على الارض من مديح وكرامة وعظمة ، ولا تستحق شيئاً عندى فى السماء . ما الذى تستحقه ؟ هل تعبت وعملت فضيلة ؟ ليس من أجل الرب فعلت الفضيلة بل من أجل المديح ، من أجل ذاتك ، ومن أجل ارتفاعك ، فلا جزاء لك عند الله .

وهكذا يخسر هذا الانسان السماء أيضا والملكوت الابدى والله . وفى نزاعه مع الناس ومحبه للكرامة . يخسر الناس أيضا لانهم لا يحبون المتغطرس ولا المتعظم ولا المتلون ولا محب المديح بل يتمرض لاحتقارهم وازدرائهم اذا مدح نفسه امامهم .

قال القديس مار اسحق : من سعى وراء الكرامة هربت منه ، ومن هرب منها بمعرفة سمعت وراءه .



كيف ينجو الإنسان من محبة المديح والكرامة

أولا : اخفاء الفضائل الشخصية والاعمال الحسنة :

لكي اهرب من مديح الناس يجب ان اخفي فضائلي واعمالى الحسنة . وليس معنى ذلك ان لا اعمل شيئا حسنا ، ولكن لا اعمل امام الناس بقصد المديح . واذا كان العمل ضروريا امام الناس ولا أستطيع الاخفاء ، فيكون على الاقل الهدف ليس هو الناس ولكن العمل في ذاته .

تعرض القديس اغسطينوس لهذه المسألة في تفسيره الكتاب المقدس ، يقول الكتاب : « احترزوا من ان تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم والا فليس لكم اجر عند ابيكم الذى فى السموات » مت ٦ : ١ . ويقول في موضع آخر : « فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا اعمالكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذى فى السموات » مت ٥ : ١٦ . فهل يوجد تناقض بين القولين ؟ .

يقول القديس اغسطينوس فى هذا الموضوع : « ليس هناك تناقض لان العيب ليس هو ان ينظر الناس اعمالكم الصالحة ، لكن العيب هو ان تعملوا الاعمال الصالحة بقصد ان ينظركم الناس » . فينبغى ان تعمل الخير سواء نظرك الناس

أو لم ينظروك لا يكن هدفك أن ينظر الناس اليك ، ولا أن يمدحوك ، أعمل العمل الصالح لا لكي تتمجد أنت بل ليتمجد الله ، لكي يمجدوا أباكم الذي في السموات .

يقول البعض أنهم يعملون الصلاح لكي يكونوا قدوة أمام الآخرين . ولكن لنفهم جيدا أن للقدوة مواضع . فيوجد اشخاص بحكم وضعهم مفروض عليهم أن يكونوا قدوة ، مثل رجال الاكليروس والقادة والمسئولين والرسل والانبياء ، فهؤلاء ان لم يكونوا قدوة سيعثرون الاخرين .

أما الانسان المتضع فانه لا يضع نفسه قدوة ، لانه لا يرى في نفسه شيئا يقتدى به الناس . انه يحاول أن يهرب من مواقف القدوة بحجة انه خاطيء وبائس ، وعلى عكس هذا يظهر نقائصه وضعفاته ، ومع ذلك قد يصبح تقوة في اتضاعه . لكنه لا يريد ذلك فيبكي امام الله ويقول « يارب انا مرأى أنت تعرف ما بداخل القبور المبيضة من عظام نتنة . ان كل أعمالى شريرة أنت سترتنى وأخفيت عيوبى عن آخرين — هل أستغل هذا الستر لاصبح قدوة . انا خاطيء وليس لى عمل صالح » هذا هو الانسان المتضع هذا قد يظهر عيوبه ليهرب من مديح الناس .

أما الذي يريد أن يصير قدوة : فلكي يظهر أمام الناس حسنا ، يجوز أن يقع في الكبرياء والرياء . فيجب أن نرضى الله لا الناس ، فلا يكون هدفنا أن نكون قدوة حتى ولو صرنا قدوة بترتيب من الله .

هكذا كان الآباء القديسون يتركون تدبير أمر معين في الفضيلة إذا عرف ويعملون غيره . إذ كانوا يهربون جدا من المديح .

ولكن ليس معنى هذا أن تترك كل تدبير حسن تسير فيه لثلاث تضر . فأنبت في كل تدريب صالح من أجل حياتك الروحية وليس لكي ينظرك الناس .

ثانيا : البعد عن الرئاسة والمناصب :

١ - لأنها خطيرة على الإنسان وخير للحكيم أن يهرب . ولنورد كمثال خبر القديس بينوفوريوس الذي عرفنا قصته من القديس يوحنا كاسيان مؤسس الرهبنة في فرنسا .

كان القديس بينوفوريوس رئيسا على دير يضم ٢٠٠ — ٣٠٠ راهبا في منطقة البرلس . وكان متضعا جدا ومهابا وله مكانة عند الكثيرين إذ كانوا يحبونه بسبب قداسته وحياته

الفاصلة ، ولواهبه العظيمة التي منحها الله اياها، ولكهنوته
ولانه شيخ وقور جلس هذا القديس ذات يوم الى نفسه
وقال : « ماذا تكون نتيجة هذا الموضوع ؟ كل يوم مديح
وكرامة واحترام وتوقير . اننى اخاف ان يأتينى الله فى اليوم
الاخير ويخبرنى باننى استوفيت خيراتى على الارض .
واين الطريق الضيق والكرب عملا بالاية التي تقول :
« بضيقات كثيرة ينبغي ان ندخل ملكوت الله » أع ١٤ : ٢٢
وانا رجل متمتع باحترام وتوقير وكرامة ورئاسة ! » .

لذلك هرب القديس بينوفقيوس ذات يوم من الدير دون ان
يشعربه احد ، متنكرا فى زى علمائى وسار جنوبا حتى وصل
الى احد اديرة القديس باخوميوس الكبير فى اسنا وطرق
الباب طالبا ان يقبلوه فى الدير — فنظروا اليه فى احتقار .
من هذا الرجل الشيخ الذى اتى ليترهب ؟ وقالوا له : « انك
اتيت بعد ان تمتعت بملاذ العالم وشبعت من الدنيا ، وكذا
شبعت الدنيا منك . هل تأتى فى آخر الايام وترهب وتعمل
قديسا ؟ انك لا تصلح ، فارحل عنا » والح القديس
بينوفقيوس عليهم فرفضوا وقالوا له « انت رجل شيخ ،
ولا تحتل الرهبنة وجهاداتها » فظل يلح ووقف على الباب
مدة زغم رفضهم دون اكل او شراب . فعندما راوا احتمالاه
وصبره ، ادخلوه الدير على شرط الا يرسم راهبا ، ويكون

في زى العلمانيين ، يخدم في الدير وأسندوا اليه مساعدة
 الراهب الشاب المسئول عن حديقة الدير ، ليكون كصبي
 عنده ، فلم يمانع وأخذ الشاب يوجه اليه أوامر يعمل بها
 فكان مطيعا خاضعا . وتحول القديس الذي كان يحترمه
 الناس ويطيعونه الى تلميذ . . لكنها كانت أميته اذ أراد
 أن يغير حياته الداخلية ويكون خاضعا لغيره وليس غيره
 خاضعا له . وكان معلمه الشاب شديدا جدا في طباعه يريد
 أن يربي الشيخ تربية صحيحة ، لان الرهينة ليست كسلا .
 وصار القديس يطيعه طاعة كاملة وينفذ أوامره بكل دقة ،
 لا يجادل ولا يناقش . وسار على هذا المبدأ مدة ، وسر به
 الشاب . وأيضا كان يقوم في ساعة متأخرة من الليل —
 حيث الرهبان جميعهم نيام — ويعمل الاعمال التي كان
 يشتمز منها الآخرون لقتازتها . فإذا استيقظوا في الصباح ،
 يجدون كل شيء قد تم دون أن يعرفوا من الفاعل فبيتهجون
 ويباركوا الرب من أجل ذلك . أما هو فكان مسرورا بهذا
 العمل . . وظل على هذا الطقس مدة ثلاث سنوات . يقول
 « اشكرك يارب من أجل عطايك ونعمتك العظيمة ، فسلا
 احترام ولا تقدير ولا توثير ، بل طاعة وأوامر » . ثم بعد
 ذلك أتى لزيارة هذا الدير راهب من أديرة البرلس ورأى
 القديس بينوفوس يحمل السباخ ويضعه حول الشجر .

فشك في نفسه ولم يصدق أنه هو . وأخيرا سمعه يتلو المزامير بصوته المعهود ، فعرفه وسجد له وكشف الموضوع فأخذه بمجد عظيم وأرجعوه الى دير . ثم بعد ذلك هرب أيضا الى بيت لحم وعمل خادما في قلالية يوحنا كاسيان ، وتصادف أن ذهب راهب آخر لزيارة القدس وعندما قابله عرفه فأعادوه مرة ثانية باحترام أيضا الى الديسر وزاره يوحنا كاسيان عند مجيئه لمصر وكتب عنه في مؤلفاته . انه مثال حى للهرب من الرئاسات .

فالذى يريد أن يخلص من مديح الناس والكرامة يجب أن يهرب من الرئاسات والمناصب لانها لا تخلص النفس في اليوم الاخير . فلا تبحث عن الرئاسات والمناصب لانها تشعرك انك شيء في ذاتك . اذا نجحت فيها دخلك حب المديح والكرامة واذا فشلت ربما تقع في دينونة كثيرة .

٢ - احلام الرئاسة تعب داخلي :

كثيرا ما يخلوا الانسان الى نفسه وفي احلام اليقظة يتصور انه في مركز عظيم وانه يعمل .. ويعمل .. ويعمل . تدور على ذهنه مشروعات كبيرة وامور خطيرة ويظن انه لو اعطى السلطان سوف يعمل ما لا يستطيع غيره ان يعمل .

وهذه تخيلات المجد الباطل وكبرياء موجودة في الداخل
تشعر الانسان انه يستطيع الشيء الكثير . وقد يسمح الله
أن تسند الى هذا الانسان مسئولية فيفشل فيها لكي يعرف
مدى ضعفه .

ذهب أحد الشيوخ ليزور راهبا شابا في قلايته الخاصة
وعندما هم بقرع الباب سمع صوتا من الداخل فانتظر قليلا
حتى لا يعطل الراهب الشاب فسمعه يعظ من الداخل
فانتظره حتى انتهى من العظة وصرف الموعوظين وقال لهم
امضوا بسلام ، ثم قرع الباب وفتح الراهب الشاب ففوجيء
بالشيخ امامه فحجل وفكر ما عسى أن يقول عنه الشيخ اذا
كان سمعه يعظ بمفرده دون موعوظين في قلايته فقال له انى
أسف يا ابانا لئلا تكون قد جئت من زمن وتعطلت على
الباب فابتسم الشيخ وقال له « جئت يا بنى وانت تصرف
الموعوظين » وعرف الشيخ ان هذا الراهب محارب بالمجد
الباطل اذ يتصور انه شماس كبير ممن يعلمون ويعظون
الموعوظين .

احذر أن تتخيل أنك رئيس أو قائد أو مشير أو أنك تعمل،
ربما يسمح الله بفشاك لكي تشعر بأنك ضعيف ، وأنك

لا تعرف شيئاً . وربما تصبح رئيساً ، وتقع في الاخطاء
التي يقع فيها غيرك .

٣ - الرئاسات ضارة لغير الناضجين :

قال القديس الانبا اوراسيوس أحد خلفاء باخوميوس :
« ان الرياسة مضرّة للأشخاص الذين لم ينضجوا » وضرب
مثلاً لذلك فقال « اذا احضرت لبنة لم تحترق بعد بالنار
والقيتها في الماء تذوب . أما اذا حرقت بالنار فلو القيت في
الماء تبقى وتشتد » كذلك الشخص الذي يصل الى محبة
الرئاسة قبل ان ينضج - قبلما يمحس بالنار - اى
باختبارات الحياة ، قبلما يزول منه المجد الباطل ، هو معرض
للهلاك . كذلك مساكين هم الناس الذين يخضعون لرئيس
محب للمجد الباطل فهو يضيع نفسه ويضيع معه الناس من
اجل المجد الذى يطلبه منهم .

٤ - اشتهاؤ الرئاسة لعمل الخير ضربة يمينية :

سئل القديس يوحنا الاسيوطى في هذا الموضوع وقالوا
له « هل يليق بالانسان أن يطلب رتبة وسلطاناً لتقويم
المعوجين وابطال الشرور ؟ » فأجاب : « كلا ، لانه ان كان
الانسان وهو بعيد عن الرتبة والسلطان ، يفتنح ويحب

العظمة ، فكم بالحري يتشامخ ضميره اذا تسلط .. وان كان وهو بعيد عن الدرجة يريد ان يكون عظيما . فماذا يعمل عندما يصل الى الرئاسة والعظمة نفسها ؟ لان الذى لم يعرف الاتضاع وهو فى حقارته ، فماذا يفعل عندما يكون فى عظّمته ؟ وان كان منتفخا وهو بعيد عن المناصب فماذا يعمل عندما يأخذ المناصب ؟ .. وبينما لم يكن لديه سبب للعظمة كان يطيش فى ضميره فكم بالحري يكون عندما ينال سببا للافتخار ؟ .. فان كنت لا تشتهى درجة الاتضاع فلا تطلب درجة الرعاية . واذا لم يكن فيك افتخار فلا تشته درجة الكينوت لان الله يعتنى بشعبه اكثر منك .. اشته ان تكون خروفا فى رعية المسيح لا راغيا يطلب دم رعيته من يديك . اشته ان تكون حملا من القطيع يركك غيرك ، لا ان تكون مسئولا عن رعيه .

ان كنت لا تقدر ان تربح نفسك الان فكيف تقدر ان تقتنى نفوسا كثيرة ؟ .. اذكر الموت وعاقبة كل احد ، ولا تشته التسلط . واذكر انك مهما كنت اليوم مكرما بالعظمة ، فغدا ستكون مثل سائر الناس محبوسا فى القبر .. ان كنت فى الوقت الذى لم يكن عليك فيه اثقال لم تستطع ان تحيي ذاتك فكيف تقدر ان تخلص شعبا كبيرا من شر هذا العالم .. ان كنت الان بلا مسئوليات كبيرة ، ولم تقدر ان تخلص هذه

النفس الواحدة التي هي نفسك ، فكيف تقدر على نفوس
القباس ؟ ..

منذ سنوات جاعنى شباب رشح للكهنوت وسألنى عن
رأىي فقلت له : «ياأخى عندما تصير قسيسنا ماذا ستعمل؟»
فأجابنى أسعى لأخلص النفوس . فقلت له « هن قدرت أن
تخلص نفسك حتى تستطيع أن تخلص الآخرين ؟ .. نفسك
التي تعرف عنها كل شيء ، تعرف جميع أسرارها وتاريخها
كله وضعفاتها وأسباب الضعففات والعيوب التي فيها
وأمرضها .. إذا لم تستطع أن تخلص هذه النفس المعروفة
جدا لديك ، فكيف تقدر على خلاص نفوس الناس الذين
تجلس معهم فترات قليلة فلا تعرف الا القليل جدا عنهم ..
نفسك التي اذا وبختها تقبل منك التوبيخ لم تقو على
تخليصها ، فكيف تقدر على تخليص الآخرين الذين لو كانت
كلماتك شديدة سيغضبون منك .. نفسك التي تشق بك
ومستعدة أن تسمع منك ، لست قادرا عليها ، فكيف تعمل
مع الناس الذين قد لا يسمعون منك وقد يشكون في كلامك .
«فأهتم أولا بخلاص نفسك، لان تخليص الغير ليس سهلا» .

الانسان الذى يريد أن يخلص نفسه لا يفكر أن يصير
راعيا ، بل هو يهرب من الرعاية على قدر ما يستطيع . وان

أمسكه الله بالقوة وصار راعيا ، عند ذلك يطلب منه قوة
يعمل بها ، لانه بنفسه لا يستطيع شيئا . . والذى يثق
بقوته ومواهبه وقدرته على أن يخلص الآخرين . لابد أن
يكون شخصا مغرورا . .

غليبعد الانسان عن حب الرئاسة حتى ولو كان سببها
رغبة خلاص الناس . ففى الحقيقة ان هذه سببها محبة المجد
الباطل لا خلاص الناس .

ه - الهروب الى المتكا الاخير :

الانسان المتضع يبعد عن الرئاسات والمناصب ، ويحب
المتكا الاخير لانه يشعر أن هذا هو استحقاقه اذ قال
القديسون : « اعتبر نفسك أقل من الكل وأخر الكل لكى
تستريح . . » قال القديس برصنوفىوس : « لا تحسب
نفسك فى شيء من الامور ولا يحسبك احد شيئا . . وانت
تتريح (تستريح) » .

الانسان غير المحب للمديح والكرامة يهرب من المناصب
والمتكات الاولى ويشتهى أن يخدم غيره ولا يخدمه احد . .
يشتهى أن يتلمذ على المرشدين ولا يكون مرشدا لآخرين :
قال الشيخ الروحانى : « فى أى مكان وجدت فيه كن صغير

اخوتك وخدمهم « . طلب منى أحد الاباء الكهنة بعد رسامته ان أقول له كلمة أو نصيحة فقدت له : « كن ابنا وسط اخوتك وأخا وسط اولادك » فالذى ينزل درجة يرتفع درجات . وهذا هو الذى يستريح فى منصب من المناصب ، أما اذا كان يريد ان يتمتع بكل كرامة هذا المنصب ويملا كرسيه أو ينتفخ ، فهذا انسان مسكين . أما أنت فكن آخر الكل ، صغير اخوتك وخدمهم ، فى كل مكان تحل فيه . وان كان السيد المسيح قد غسل أرجل التلاميذ وهو المعلم والسيد ، فهل تبقى أنت رئيسا على أحد .

٦ — واذا كنت رئيسا :

وليس معنى هذا الكلام ان أرفض الرئاسة لو أتت الى فى وضعها الطبيعى فليس الضرر هو الرئاسة انما الضرر هو محبة الرئاسة ليس الضرر ان تبقى رئيسا ولكن الضرر هو ان تتسلط على الناس . . هناك انسان يبقى رئيسا وصاحب المتكأ الاول وهو شخص متواضع يعامل الناس بمنتهى الرفق لانه واحد منهم . والرئيس ليس رئيسا على الافراد ، ولكنه رئيس على العمل فقط . والرئيس والمرؤوس سواء عند الله ، بل ربما تكون للمرؤوس منزلة اكبر . والرئيس الحقيقى هو الذى يشعر بأنه زميل يتفاهم مع رؤوسيه

بالمحبة وبالبساطة ، لان الرئاسة والسلطة تعطى للناس من أجل ادارة العمل ، وليس من أجل كرامتهم الشخصية — كالذى يأخذ درجة عليا من الدرجات الكهنوتية — ان اعتبر ذلك تكبرا لذاته ، يكون قد انحرف بالسلطة عن معناها الاصلى كوسيلة تمكن صاحب العمل من ادارة العمل .

يحكى عن القديس باخوميوس أب الرهبان انه كان يسير مرة مع مجموعة منهم وكل يحمل حاجياته . فتقدم أحد الرهبان ليحمل حاجيات باخوميوس فرفض وقال له : « اذا كان المسيح له المجد دعا نفسه اخا للتلاميذ فهل استخدمكم أنا في حاجياتي .. لا يصير هذا الامر ابدا . من أجل هذا الدير الاخرى كائنة بانحلال ، لان كبارهم مستعبدون لصغارهم » .

وبولس الرسول يقول : « حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان » أع ٢٠ : ٣٤ .

٧ — كن رئيسا على ذاتك أولا :

وقال الشيخ الروحاني وهو ينصح الرهبان الصغار ألا يشتبهوا رئاسة مجمع الرهبان : « ان حوربت بهذا الفكر فقل ان مجعنى هو مجمع افكارى التى اقامنى الله رئيسا

عليها لكي أدير أهل بيتي حسنا » . فكن رئيسا على أفكارك واحكمها حسنا ، لئلا تطيش شرقا أو غربا . كن رئيسا على حواسك ونظراتك وعلى سمعك ، كن رئيسا على شهوات قلبك واضبطها . وان تمكنت من أن تكون رئيسا على نفسك وتضبطها ، فأنت الشخص الذي تصلح أن تكون رئيسا . وإذا كنت لم تعرف أن تحكم نفسك ولا لسانك ولا فمك ولا قلبك من الداخل ، فكيف تصلح أن تكون رئيسا على غيرك ؟ .. ان لم تكن أمينا على القليل لا يمكن أن تكون أمينا على الكثير .

جاء أحد الرهبان الى القديس تيموثاوس وقال له :
« يا أبى انى أرى فكرى مع الله دائما » فأجابته :
« يا بنى أفضل من هذا أن ترى فمك تحت كل الخليفة » .
أبعد عن الرئاسات والملكآت الاولى .. احترم الكل ، وعامل الكل بلباقة فأية محبة تكون للأذين يعاملون من هم أقل منهم باحترام وتوقير .. انك تقدر أن تحترم الشخص الأكبر منك ، وهذا أمر لا فضل لك فيه لانك مرغم ومضطرب أن تحترمه ، لكن من يحترم الأقل منه يكون متضعا .. الذى يحرم الأصغر منه فى المنصب أو العلم أو السن أو المقام ، ويحفظ حقوقهم ويشعرهم بشخصيتهم ، يكون هو الشخص الذى يستحق المحبة من الكل ، وليست كرامتك هى أن

يخضع الناس لك بحكم القانون أو الاحترام ولكنها شعور
توقير ينبع من القلب وليس من الظاهر فقط .

ثالثا : احتقار النفس والاتضاع :

ان الانسان الذى يبعد عن محبة المديح والكرامة ، يحتقر
ذاته فلا يسمح لاحد أن يمدحه ، ولا يسمح لنفسه أيضا أن
تمتدحه . والذى تمتدحه نفسه يجب ان يتذكر خطاياها ويقول
كما يقول القديسون :

« أنا مازلت سائرا في الطريق ولم اصل بعد للنهائية .
ومن يدري ربما اصل في الطريق » من يظن انه قائم فلينظر
ان لا يسقط « ١ كو ١٠ : ١٢ . أنا لم اصل بعد » .

انظر الى المستويات التى هى أعلى منك . أما اذا نظرت
الى من هم اقل منك فانك تتكبر وتتعظم — لماذا كان اولاد
الله متواضعين ؟ لانهم كانوا يعرفون الكمال المطلوب منهم .
كانوا يصلون الى درجات عظيمة فى التسك ، فى الصوم ،
فى الصلاة ، فى احتقار النفس ، فى كل شيء ، وكانوا قدام
انفسهم ضعفاء ومساكين ، لانهم يعرفون ان هناك درجات
أعلى بكثير من حياتهم .

ان مدحتك نفسك قل لنفسك : « ماذا فعلت لكى تمدحنى
نفسى ؟ » . هل لصومك وصلواتك وعمل الوصايا تمدحك
نفسك ؟ اذا كانت صلاتك عادية فكثيرون يصلون بالزامير .
واذا كنت تصلى ببعض الزامير ، فهناك من يصلون بالزامير
كلها . واذا كنت تصلى ساعة أو أكثر ، فهناك من يسهرون
الليل كله . واذا كنت تصلى الليل كله فهناك من يصلون
النهار والليل فى صلوات دائمة . الى أى درجة وصلت فى
الصلاة ؟ كان القديس أرسانيوس يقف مصليا عند غروب
الشمس وهو ناظر الى الشرق والشمس وراءه ، ويظل
قائما فى الصلاة الى أن تطلع الشمس امامه . هل عملت
مثله ؟ — درب القديس الانبا مكاريوس الاسكندري نفسه
على أن يصلب عقله عدة ايام فلا يمكن أن يمر فى عقله او فى
فكره شىء غير الله . الى أى مدى وصلت أنت ؟ فهناك آباء
كانوا يقضون اياما كثيرة فى الصوم بالاسبوع وانت ماذا
فعلت ؟ .

الى أى درجة وصلت فى الاحسان ؟ هل تدفع العشور ؟
وماذا تكون العشور ، انها مبدا يهودى وليستت مبدا
مسيحيا . طالب الرب اليهود بدفع العشور ، أما عن
المسيحيين فقال لهم « بع كل مالك واعط للفقراء » .. فهل

بعث كل مالك ؟ يقول الكتاب : « بيعوا أمتعتكم وأعطوا صدقة » . . هل عملت هكذا ؟ وان بعثت فعلا كل مالك هناك درجة اعظم من هذا : كان أحد القديسين متناهيا في الرحمة فباع كل شيء وأعطاه للفقراء . وعندما لم يجد شيئا آخر ليعطيه ، باع نفسه عبدا وأعطى ثمن نفسه للفقراء .

قارن نفسك بهذه المستويات ، فتحقر نفسك وتضع من من الداخل . ان نظرت لمن هم أقل منك تنتفخ . كالتميذ الذى ينجح وينال مجموعا ٥٠٪ ، ان قارن نفسه بالراسبين ينتفخ لانه ناجح ، وان قارن نفسه بالناجحين بمجموع أكبر يتضائل فى عين نفسه . كذلك أنت ، قارن نفسك بالمستوى الاعلى ، فتشعر بأنك مازلت ضعيفا ومسكينا ولم تعمل شيئا بعد .

أعرف أيضا طبيعتك أنك تراب ورماد وأنت قابل للسقوط حاول أن تنكر ذاتك وأن تخفى فضائلك ، فلا تقبل مديح الناس ولا مديح نفسك .

قيل عن اثنين من الشبان الرهبان انهما دخلا الى مائدة الدير وكانت فى ذلك الحين مقسمة الى موائد للشيوخ وأخرى للشبان — فدعا الشيوخ واحدا منهما فجلس معهم ،

اما الاخر فذهب الى مائدة الشبان . وبعدهما خرجوا قال
الذي ذهب الى مائدة الشبان لزميله « كيف تجرات وانت
شاب أن تجلس مع الشيوخ ؟ » فأجابه قائلا : اننى فضلت
هذا لاننى لو كنت قد جلست على مائدة الشبان لكانوا
يمتدحوننى لانى اكبرهم وربما قدمونى فى كل شىء ودعونى
لقراءة البركة والصلاة . ولكننى عندما كنت جالسا على
مائدة الشيوخ، كنت أحس بضعفى ، وبأنى لا أستحق الكلام،
وجلست خجولا مطرقا طول الوقت .

هذا هو الفهم الحقيقى للنفس والمتكأ الاخير : ان يشعر
الانسان فى نفسه من الداخل أنه هو فعلا فى المتكأ الاخير .
فهناك شخص من أجل اسم الاتضاع قد يختار المتكأ الاخير ،
والمجد الباطل يقتله . فاذا كنت تريد المتكأ الاخير فعلا ،
اجعل قلبك من الداخل فى هذا المتكأ ، شاعرا فى عمق
اعماقك أنك فى المتكأ الاخير ، حتى ولو اجلسوك فى المتكأ
الاول ، قائلا لنفسك : ان كل هؤلاء الناس افضل منى .

ان وقفت تدرس الاطفال فى مدارس الاحد ، انظر اليهم
أنهم ملائكة افضل منك، واطلب من الله أن تكون فى بساطتهم
ونقاوتهم وفى كرامتهم عند الله . كان أحد المدرسين فى
مدارس الاحد عندما يقع فى مشكلة يطالب الى اطفال فصله

أن يصلوا من أجله في ضيقته . وكان يقولُ انى جربت
صلاتهم في مشاكل حياتى ، وكنت أشعر أنها قوية ولها
مفعول كبير اكثر من صلاتى الخاصة .

رابعا : احتقار مديح الناس والزهد فيه :

الانسان الزاهد فى المديح ، يزهد فى كل ما يعرفه عنه
الناس من خير . فهو لا يريد أن يكون مدحوا منهم لانه
يعتبر أن مديح الناس اياه والكرامة التى يقدمونها له هى
خسارة . بل هو يريد أن تكون الكرامة الوحيدة التى له عند
الله مرددا قول السيد المسيح «مجدا من الناس لست أقبل»
يو ٥ : ٤١ . وقوله « مجدنى أنت أيها الاب عند ذاتك بالمجد
الذى كان لى عندك قبل كون العالم » يو ١٧ : ٥ . يريد
أن يمجد من الله وليس من الناس . فما هو المجد الذى كان
لك أيها الاخ عند الاب قبل كون العالم ؟ مجدك الحقيقى هو
لك صورة الله ومثاله . مجدك الحقيقى هو فى علو
شخصيتك من الداخل ، وفى نقاوة قلبك ، وفى فكرة الله
عندك .

أما المجد الذى تأخذه من الناس فهو زائف وربما يكون
عن جهل ، لان الذين يمدحونك لا يعرفون حقيقتك وهم
يحكمون حسب الظاهر ، لا يقرأون أفكارك ، ولا يعرفون
مشاعرك واحساساتك الداخلية ولا خطاياك الخفية . .

ومديح الناس لا يوصلك الى ملكوت الله لان الله فاحص
القلوب وانكى ولا يعتمد في حكمه على افكار الناس .

وبعض الناس يمدح بسبب المجاملة ، والبعض بسبب
التشجيع ، والبعض بسبب اديه الخاص ، والبعض يمدح
لغرض معين في نفسه ، والبعض يمدح بسبب التملق .
والمسكين الذى يحب المديح يهه ان يمدح كيفما كان الامر ،
ويلذ له ان يصدق كل ما يقال فيه من خير سواء عن حق
او عن باطل .

ومديح الناس يضر الكثيرين ويضالهم . لذلك ينبغى لك
ان تصادق من يوبخك ويوجهك . اما اذا مدحك الناس ،
فتذكر خطاياك ونقائصك ، واعتراغائك المتعبة لك ،
والاخطاء البشعة التى وقعت فيها في حياتك . فعند ذلك
يخف الم المديح .

أخطر نوع من انواع المديح هو ان تمدحك نفسك من الداخل:

عندما تظن في نفسك أنك كبير وعظيم وحكيم وصالح .
تلك هى الكبرياء الموجودة في الداخل ، فلا بد ان تعرف أنك
انسان ضعيف ، وأن كل مالك من قوة — ان كنت سائرا
في طريق الله — راجع الى ان النعمة تسندك في حياتك .
ولو تخلت عنك النعمة قليلا ، لسقطت في الخطايا التى كنت

تنتقد الناس عليها ، والتي تظن أنك أقوى منها وأنتك تقمع
فيها في يوم من الايام .

للتخلص من المديح :

من يريد ان يتخلص من محبة المديح لابد ان يشعر بأهمية
المستقبل الابدى ، ويهتم به ويجعله الهدف الاساسى لحياته .
فلا يبنى مجده على الارض ، بل يرفض الكرامة العالمية ،
ويهتم بالكرامة التي منحها له الله عندما وضع اكليل البر ،
ويكنز خيراتة في السماء . لذلك غان الابرار كانوا يرفضون
كل أنواع الكرامة .

ومن يحتقر المديح يهرب من محبة الرؤى والمناظر .
كثير من الاباء الذين سقطوا برؤى خاطئة من الشياطين ،
كان سبب سقوطهم هو محبة الكرامة والمديح ، واشتهاء
الرؤى والمعجزات والعجائب والمناظر الالهية . ان بإمكان
الشياطين ان يظهروا في هيئة ملائكة نور ، بل وفي هيئة
المسيح نفسه . فينبغى لمن يحبون الله الا يهتموا بالمناظر
ولا يتخذوا بها .

ظهر الشيطان مرة لقديس وقال له : انا جبرائيل جئت اليك .
فرد القديس عليه قائلا : لعلك أتيت لآخر لانى لا أستحق ان

يرسل الرب جبرائيل الى . فان ظهرت لك امثال هذه الرؤى
والمناظر فارغضها .

كلما كان القديسون يرتفعون في حياتهم الروحية كلما كانت
هذه المناظر تتضاءل جدا في نظرهم . يروى عن أحد الاباء
الكبار الجبارة في حياة الروح ، انه كان سائرا في الطريق
يصلى وقلبه مهتلى بمجد الله ونفسه ملتصقة التصاقا كاملا
به . وفيما هو يصلى وجد ملاكين عن يمينه وعن يساره ،
فلم يسمح لنفسه ان يلتفت الى اى منهما ، واستمر في
صلاته كما هو مرددا في فكره « من يفصلنى عن محبة
المسيح ؟ . . لاملاك ولا رئيس ملائكة » رو ٣٨:٨ لذلك يقول
القديس باخوميوس ومار اسحق « ان من يرى خطاياهم افضل
من الذى يرى ملائكة » . فلا تطلب انت هذه الرؤى بل
اشعر بانك لا تستحق . فى احدى المرات سألوا القديس انبا
باخوميوس وقالوا له : قل لنا عن منظر حسن رايته فأجابهم
« من كان مثلى خاطئا لا يعطى مناظر . اما ان اردتم منظرا
حسنا ترونه ، فانظروا الى شخص وديع متواضع فانكم
تبصرون الله فيه . وعن افضل من هذا المنظر لا تبحثوا .

الانسان المتكبر المحب للكرامة يشتهى رؤية الملائكة ،
لكن المتضع يشتهى رؤية خطاياهم . ان الرؤى لاتخلص نفسك

في اليوم الاخير ، لكن معرفتك بجهالاتك وبنقائصك تجعلك تخلص .

ولكى ترفض المديح ينبغي ان تخفى الاعمال الفاضلة وحكمتك عن الناس ، واجعلها تظهر امام الله فقط . ان كنت تعمل الخير من اجل الله لا من اجل الناس ، فماذا يهمك ان كان الناس يرون هذا الخير او لا يرونه ؟

في احدى المرات اتى جماعة من الرهبان الى الاب زينون بسوريا وكشفوا له اخطاءه ونقائص لهم . فنظر اليهم وقال : « هكذا حال الرهبان المصريين : ان كانت لهم فضيلة يخفونها ، وما ليس فيهم من الرذائل ينسبونه الى انفسهم » .

في مرة اخرى كان يعيش في برية شيهيت راهب سوري الاصل فهذا جاء الى القديس مكاريوس وقال له : « لى سؤال يا ابي : عندما كنت في سوريا كنت استطيع ان اصوم كثيرا واطوى الايام صوما . اما الان في مصر فلا استطيع ان اكمل اليوم صوما . فلماذا ؟ » وحيث ان الدير في سوريا كانت في المدن في وسط الناس ، رد عليه القديس مكاريوس وقال له : « لقد كنت تطوى الايام صوما لانك كنت تتغذى على المجد الباطل ، الذي هو مديح الناس لك اثناء الصيام والانتقاع عن الطعام . اما في البرية فلا يراك احد ، لذلك تجوع بسرعة » . لذلك قال القديسون « ان الفضائل اذا

عرفت تبسّد وتنتهى « . لذلك كانوا يخفون فضائلهم
وحكمتهم ومعرفتهم .

فى مرة زار ثلاثة أشخاص القديس الانبا أنطونيوس
الكبير وهم القديس العظيم الانبا يوسف واثان من الرهبان
المبتدئين . فسألهم عن احدى الايات : سأل الاول فقال له
لا أعرف . وسأل الثانى فقال له أيضا لا أعرف . وبعد ذلك
سأل القديس الانبا يوسف ، ففكر قليلا وقال له لا أعرف .
فنظر اليه الانبا أنطونيوس وقال له : طوباك يا أنبا يوسف
لانك عرفت الطريق الى كلمة لا أعرف .

الانسان الذى يحب المديح يشتهى أن لا يعترف الجميع
الاجابة لى يجيب هو وحده . ولكن « المحبة لا تفرح بالاثم
بل تفرح بالحق » ١ كو ١٣ : ٦ . ان كنت تحب أن تظهر
لناس معرفتك بهذه الطريقة ، فأنت تبني مجدك على ضياع
الاخرين وجهل الناس . ولذلك قال القديسون : « اذا
وجدت وسط الحكماء فانصت ولا تتكلم ، وان سألوك عن
شئ غفل لا أعرف » . واجتهد باستمرار أن تظهر عيوبك
وتخفى فضائلك . فاذا اراد الله أن يظهرها فلتكن مشيئته،
اما أنت فلا تظهرها على الاطلاق لئلا تأخذ أجرك من الناس .

ولربنا كل مجد وكرامة أمين . .

يطلب من
مكتبة كنيسة السيدة المطران
بحرم بك - اسكندرية